أ.ربيعة جعفور

جامعة الوادي.

علم الإنسان بين ضرورة الدراسة وصعوبة التفسير

(قراءة في كتاب الإنسان ذلك المجهول)

مدخل:

تهدف العلوم الاجتماعية في مجال بحثها للوصول إلى فهم وتفسير ومن ثم التنبؤ بالظواهر المدروسة والتحكم فيها، إلا أن هذه العلوم لا زالت تعرف تأخرا في مسيرتها ونتائجها خاصة إذا ما قورنت بغيرها من العلوم الرياضية والطبيعية؛ وسعيا منها لتحقيق الدقة في النتائج نجدها تستعين بفنون العلمين إلا أن ذلك أيضا يبقى غير متاح بشكل بسيط حيث تواجهها مشكلة تطبيق هاته القواعد في مجالها تتعلق هذه الصعوبة بطبيعة الظاهرة المدروسة أساسا، فما هي الأسباب الحقيقية التي تقع خلف تأخر العلوم الاجتماعية وصعوبة البحث فيها؟

وللإجابة على هذا السؤال المطروح قمنا بقراءة في كتاب الإنسان ذلك المجهول لمؤلفه "ألكسيس كاريل" وقد تحدث في هذا الكتاب عن مواضيع عدة أهمها حديثه عن علم الانسان أو الحياة وأسباب بطئه وتقدم علوم الجماد.

ويمكننا أن نلخص أسباب التفاوت بين العلمين فيما يلي:

لقد شهدنا تأخر علوم الحياة عن علوم الجماد ويرجع ذلك إلى:

- ظروف حياة أسلافنا وأجدادنا.
- تعقد ظاهرة الحياة.
- تكوين عقلنا وتركيبه.

أما أسباب تقدم علوم الجماد عن علوم الحياة فهي أساسا:

- سهولة تطبيق المكتشفات العلمية .
- عدم التفكير بأنفسنا وبالتالي جهلنا بطبيعتنا الحقة.

ويأتي التفصيل في العوامل والأسباب السالفة وغيرها تباعا كالتالي:

آلكسيس كاريل(1986): الإنسان ذلك المجهول، (تعريب): شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان.

أسباب تقدم علوم الجماد وبطء علوم الحياة:

هناك عديد أسباب توافرت لتسهم في التفاوت بين هذين العلمين لعلّ أهمها:

- **الحاجة لقهر العالم الخارجي:**

أول ما وجد الانسان نفسه في وجه الطبيعة أحس بالخطر يتهدّده من الخارج سواء من الحيوانات أو من بني البشر مثله. كما أحس بالحاجة للأكل والشرب وكل ذلك كان يقتضي منه السعي والعمل فوجد نفسه مواجها العالم الخارجي باحثا ومنقبا فيه وكان كل وقته – من الصباح وحتى المساء- يمضي على هذه الحال؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن الجسم البشري كان يقوم بوظائفه بطريقة مرضية- غالبا- كف عنه الاهتمام به، فقد تأمّل الانسان محيطه أولا حيث لاحظ الشمس والقمر والمخلوقات الأخرى قبل أن يهتم بنفسه وبالتعرّف عليها. كما دلل جاليلو على تبعية الأرض في حركتها لدوران الشمس بينما لم تكن لدى معاصريه أية فكرة ولو بسيطة عن تركيب ووظائف العقل والكبد... إذا تقدم ا لم في اتجاه العالم الخارجي أولا.

- **الظروف العرضية لتطور العلم:**

مثل ظهور رجال عظماء يمتازون بخيال واسع وذكاء خارق مكّنهم من الوصول إلى القوانين العلمية بسهولة، والتي غالبا ما أدى تطبيقها إلى زيادة الراحة وتيسير حالة الناس ومعيشتهم مما دفعهم إلى الاهتمام بالعلم ومخترعاته ما دام هو يساهم في تقليل الجهد وإبعاد الهموم.

لكن ذلك كله لم يعن أبدا أن شيئا من علم الحياة لم يظهر فقد جذب انتباه أجدادنا الألم والمرض والموت فنتج عن ذلك الاهتمام ظهور كل من علم التشريح وعلم كيمياء الحياة وعلم وظائف الأعضاء وعلم الأمراض؛ إلا أنه وفي آخر الأمر فقد اعتبر سرّ وجودنا ومتاعبنا الأدبية ولهفتنا على المجهول وظاهرة علم ما وراء المادة أكثر أهمية؛ ولذلك درست الحياة الروحية والفلسفة من طرف رجال عظماء فعرفت قوانين التصوف قبل علم وظائف الأعضاء وما ذلك كله إلا بعد فوز الإنسان بوقت فراغ مكنه من الاهتمام بهذا الأمر.

- **الدقة في التعبير عن النتائج:**

تتسم علوم الجماد بقدرتها على صياغة نتائج أبحاثها بلغة رياضية تتمثل في معادلات جبرية تعبر بدقة عن الحقيقة المتوصل إليها، أما علوم الانسان فإنها تغدو عاجزة عن التعبير عن نتائجها بهذه الدقة .لقد أوجز ذلك المؤلف بقوله :" حتى ليبدو كأن أولئك الذين يدرسون الحياة قد ضلوا طريقهم في غاب متشابك الأشجار، أو أنهم في قلب دغل سحري لا تكف أشجاره التي لا عداد لها عن تغير أماكنها وأحجامها.. فهم يزحون تحت عبء أكداس من الحقائق التي يستطيعون أن يصفوها ولكنهم يعجزون عن تعرفها أو تحديدها في معادلات جبرية...".

- **صعوبة البحث في مجال علوم الحياة:**

وكما يقول برغسون:" إن العقل يتصف بعجز طبيعي عن فهم الحياة" وعليه فإن الصعوبة البحث في علم الحياة ومع تركيب عقلنا الذي يبتهج بالتفكير في البسائط مما جعل الانسان ينفر من البحث فيها ويوجه فكره نحو العلم البسيط " علم الجماد" وقد برع بنو البشر في ذلك مما كدّس مجموعة معلومات كثيرة؛ ليلجأ بعدها الانسان إلى محاولة تطبيق أهم نتائج علم الجماد على علم الانسان محاولا في ذلك اختزال الانسان إلى مركب أو نظام طبيعي كيميائي أو كيان روحي متناسيا في ذلك أن ترابط العلوم لا تعن إلغاء علم ما في يوم من الأيام فنحن لا نرفض ضرورة الاستعانة بالعلوم الأخرى لكن يجب أن يبقى علم الانسان قائما بذاته وليس مجرد محصلة العلوم الأخرى.

- **الرفاهية الناتجة جراء تطبيق نتائج العلم المادي:**

– **تغير طريقة الحياة:**

تؤثر البيئة بشكل كبير في مجرى حياة الأفراد وهي تفرض عليهم اتباع طريقة معينة من الحياة لذلك فإنّ تغيّر بيئتنا عن بيئة أجدادنا استلزم تغيير المأوى وذلك بدوره أدى إلى تغيير طريقة الحياة وظهور المدن الصناعية بشكل مفرط وذلك التغيير كله يعود أساسا إلى سرعة وزيادة وسائل المواصلات التي زادت من شدة العلاقات الانسانية وتفاعلهم فيما بينهم في الأحداث العالمية اليومية .وقد حظي الانسان الحالي براحة لم لكن ينعم بها السابقون فأقلهم حظي من أشكال الرفاهية ما لم يكن يحلم به حتى عظماء وكبار الأزمان الماضية؛ ويرجع هذا الرخاء والعزّ كلّه إلى تطبيق المكتشفات العلمية التي أدّت إلى تقليل الجهد ومن أمثلتها وجود قاعات رياضية مغلقة ومحمية من كل أشكال غضب الطبيعة كالأعاصير والرياح والمطر واللاعبون يمارسون نشاطاتهم فيها متى ما شاؤوا.

– **توفر عامل الصحة البدنية والقدرة على مجابهة الأمراض:**

كما أدى التطبيق العلمي إلى التقليل من الوفيات وزيادة عدد المواليد وذلك استفادة من تعاليم باستور الطبيب الشهير بصفة خاصة؛ فلقد زاد العلم من الرأس مال البشري كما أدى ذلك أيضا إلى تغيير الغذاء وتحرير الانسان من بعض القيود، وبهذه الأشكال المتعددة فهم الناس فائدة العلم وجعلوه وجهتهم فانتشرت المدارس تطبيقا لقاعدة أو مقولة "بيكون": المعرفة هي القوة.

- **الاهتمام بفن العمارة:**

إلاّ انه وفي مقابل ذلك فقد تزعزعت القيم والمعتقدات في حياة أصحاب المدنية فصارت أشكال مصارفهم وجامعاتهم لا تقل جمالا عن دور العبادة التاريخية وذلك كله بسبب القوة التي دخل بها العلم إلى الأوساط الأدبية والعقلية للإنسان الحالي؛ وباختصار فقد احتل العلم مرتبة عالية ضمن حياة القوم العصريين وأصبح هو أبو الثراء والرفاهية.

- **نتائج الاستجابة السريعة للمدنية العصرية:**

لقد هجر الناس الريف نحو المدينة فرحين بذلك ومتخلّين في الوقت نفسه عن عاداتهم وتقاليدهم العريقة مستبدلين طريقة الحياة والتفكير بنمط جديد ذلك ما أنتجه تأثرهم الشديد بهاته المدنية الجديدة. وإذا نظرنا إلى الأمر من جهة مشابهة فإننا نجد أن العلم قد سهل لهم الحياة حتى في الريف بل ورفع من مستوى المعيشة وكل ذلك بجهد قليل وانتاج وفير إلا أنهم لم يرضوا التنعم بهاته الحضارة إلا وسط المدن وقريبا من المصانع والورش والمكاتب؛ كما أن هذا التغيير قد منح الصحة البدنية الجيدة للكثيرين حتى الشيوخ الهرمين؛ فهم ينقذون من الموت ولا يتركون حتى يحين أجلهم بسبب هذا المرض، كما أنه قد حررهم من بعض القيود التي كان يفرضها عليهم النظام الديني. إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض النقائص والسلبيات لخطر القلق المستمر من المستقبل والخوف من ضياع الثروة المكدّسة؛ كما نجد القص العقلي والأدبي فهذين الشرطين يندر وجودهما في المدنية العصرية مع أنهما كانا مقصودين من طرف معدّي هاته الحضارة. إذن فلقد جاءت نتائج العلم على عكس ما خطّط له وأريد منه فما ذا وراء هذا الاخفاق ؟.

- **عدم ملائمة الحضارة العصرية لطبيعتنا:**

لقد وجدت الحضارة العصرية التي صنعها العلم المادي نفسها في موقف صعب لأنها لا تلائمنا فقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا بقية؛ إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة لقوامنا. إذن فلقد كانت تقود وجهة العلماء مجموعة دوافع لم تأخذ بعين الاعتبار ذات الانسان أو الرقي به إلى ما هو أسلم له، فهي لم تكن تتبع منهجا واضحا أو ترسم لنفسها خطة محددة بل لقد كان لخيال المبدعين وذكائهم الخارق القرار الأول والأخير في تحديد وجهة العلم والعلم المادي خاصة.

- **الانتقاء من بين الحقائق:**

كما أننا غالبا ما ننتقي من بين الحقائق العلمية ما يوفر لنا الراحة البدنية ويقلل من بذل الجهد ويعنى ذلك كله تحقيق رغباتنا العاجلة وإيجاد مخرج للهروب من أنفسنا لا غير؛ وفي كل هذا وذاك فإننا لم نسأل أنفسنا أبدا ماذا بعد السرعة التي نتبعها وننتجها ومسائلنا العلمية؟ لماذا نهرول دائما ونحاول أداء أعمالنا في وقت قصير ونربح الوقت؛ ثم لا نُلق بالاً للنتائج البعيدة؟ وهذا يعني أننا لسنا موضوعيين.

وكان نتيجة ذلك أننا اليوم نعيش ورطة وتيها كبيرين، إن هاته المعادلة غير متكافئة ولا متوازنة فعلى سكان المدنية العصرية أم يرتقبوا بها مختلفة وتهتم فقط بالعالم المادي؛ ولأجل تشييد مدنية صالحة تضم أناسا صالحين يجب علينا أن نسعى لمعرفة أكثر عمقا

وتبحرا بطبيعتنا الانسانية فلا يجب أن نهمل دراسة علم الحياة ويقول هنا الكسيس كاريل: " ما دامت الأحوال الطبيعية للحياة قد حطمتها المدنية العصرية فقد أصبح علم الانسان أكثر العلوم ضرورة".

- **تكدس المعلومات وتشوهها:**

قام العلماء بأبحاثهم والفلاسفة بتأملاتهم في مختلف الحقب التاريخية في محاولة لفهم الانسان فتوصلوا إلى كم هائل من المعلومات والنتائج في هذا المجال، إلا أن نتيجة ذلك كانت سلبية بحيث تكدست المعلومات وتشوهت مما زاد من مقدار جهلنا؛ وبغية التخلص من هذا الجهل علينا أن نقوم بعملية غربلة وانتقاء من بين ما توافر لدينا من معلومات فنبعد غير المتجانس منها ونحتفظ بما يحمل حقيقة حية لا يمكن الجدل فيها.

تعتبر الآراء المتعلقة بالإنسان ذات شقين أو مصدرين فهي متأتية من:

- التراكيب المنطقية التي أنتجها عقلنا.
- نتيجة التجارب.

وهاته الأخيرة أطلق عليها "برجمان" إسم الآراء الفعالة والرأي الفعال كما يقول يساوي العملية المؤدية إليه، معنى ذلك أن دقة أي رأي كان تتوقف على دقة العمليات التي يؤدي إلى تحقيقها وعلى هذا الأساس فعلى العلم الايجابي اليوم أن يستعمل طرق ووسائل معينة للحصول على هاته الفعالية، ذلك أن الانسان لا يمكنه الوصول إلى إدراك ما هو خارج عن مجال حواسه ويقول في ذلك:

" إن الآراء التي تقع خارج الحقل التجريبي لا معنى لها وعلى ذلك فلن يكون لسؤال ما أي معنى إذا لم يكن في الامكان اكتشاف العمليات التي تسمح لنا بالإجابة عليه".

وتأكيدا على ضرورة الاستمساك بالآراء العملية قوله:" إن الآراء العملية هي فقط الأساس الصلب الذي نستطيع أن نبني فوقه.. ومن بين كومة المعلومات الهائلة التي نمتلكها عن أنفسنا يجب أن نختار المعلومات التي تتفق وع الآراء الموجودة في عقولنا فحسب بل أيضا مع الطبيعة.

وهنا تجدر الاشارة إلى أننا وكمسلمين نعتبر أن مصادر المعرفة تتجسد في ثلاثة مصادر هي:

- **الوحي:**

فهو يخبرك بمعنى وغاية هذا الوجود وطبيعة علاقة الانسان بالله ومصير الكائنات، ذلك أن الانسان بما فطر عليه يجب أن يعرف موقعه من الوجود وغايته، وبدون وجود إجابة لهذا السؤال تبقى النفس في حيرة إذن فالوحي هو المصدر الوحيد لهذا النوع من المعرفة بما يؤدي إلى بلوغ اليقين.

- **العقل:**

وهو أداة الادراك والفهم والنظر والتلقي والتمييز والموازنة، وهو وسيلة لأداء مسؤولية الوجود في عالم الشهادة والحياة. والعقي يحوي في ذاته بديهيات المعاني والعلاقات بين الانسان والكائنات وهو دافعه في طلب علم الغيب إذن فالوحي والعقل متكاملان فإدراك مقاصد الوحي وتفهم عالم الشهادة أدت إلى خلافة الانسان.

- **الخبرة:**

الكون بما يوفره من مظاهر وتجارب يوفر للإنسان خبرة بالتعامل والحركة ويساعده على فهم الكون فهما جيدا وإذ يحكم الفرد عقله وينتبه لتجاربه فهو إذن يتعظ ويكامل عناصر ومصادر المعرفة.

- **عدم التنسيق بين العلوم المختلفة:**

قسم الجسم البشري وبفضل الفنون العلمية الحديثة إلى عدة أجزاء، وآراء أي علم حول جـزء ما تعتبر غير كافية بحيث يجب اتخاذ جميع آراء علوم الأجزاء الأخرى؛ لكن ما يجب الإشارة إليه هو ضرورة الالتزام الدقيق أثناء قيامنا بالبحث والدراسة فإذا كنا بصدد دراسة عضو ما في جسم الانسان لا يجب أن نلجأ إلى آراء علم آخر بل يجب اللجوء إلى علم وظائف الاعضاء وهكذا مع كل جزء من الأجزاء حتى لا يحصل خلط وتشويش للحقائق والمعلومات لكن بالرغم من ذلك وجد علماء قاموا بمثل ذلك الخلط كعلماء فيسيولوجيا القرن التاسع عشر وتلاميذهم والذين يحاولون بفهم وعملهم تفسير الانسان ككل. وهنا يقول المؤلف:" فالإنسان الحقيقي لا يزيد عن أن يكون رسما بيانيا يتكون من رسوم بيانية أخرى أنشأتها فنون كل علم، وهو في الوقت نفسه الجثة التي شرحها البيولوجيون والشعور الذي لاحظه علماء النفس وكبار معلمي الحياة الروحية، والشخصية التي أظهر التأمل الباطني لكل انسان أنها كامنة في أعماق ذاته...إنه أي الإنسان عبارة عن المواد الكيماوية التي تؤلف الأنسجة وأخلاط أجسامنا.. « تلك الجمهرة المدهشة من الخلايا والعصارات المغذية التي درس الفيسيولوجيون قوانينها العضوية .. إنه ذلك المركب من الأنسجة والشعور الذي يحاول علماء الصحة والمعلّمون أن يقودوه إلى الدرجات العليا أثناء نموه مع الزمن.. إنّه ذلك الكائن الحي الذي يجب أن يستهلك بلا انقطاع السلع التي تُنتجها المصانع حتى تظل الآلات التي جعل لها عبدا دائرة بلا توقف...ولكنه قد يكون أيضا شاعرا أو بطلا.. إنه ليس فقط ذلك المخلوق شديد التعقيد تحلّله فنونا العلمية، ولكنه أيضا تلك الميول والتكهنات وكل ما تنشده الإنسانية من طموح..."

ويعزى السبب في ذلك إلى المغالاة في التخصص حتى صاروا – الباحثين- يأخذون من نتائج ونظريات علومهم قواعد عامة يفسرون بها في كل المجالات؛ إلا أنه لا يمكن بأي حال اختزال الانسان بهكذا صورة وبناء على ذلك كله علينا أن نحسن استخدام الآراء وفق نظمها ونضعها ضمن إطارها وفي مجالها الخاص.

- **التمسك ببقايا النظم السابقة:**

كما نلمس ارتباكا وعدم ثبات في معرفتنا بأنفسنا ويعود سبب ذلك إلى بقايا النظم السابقة، التي كنا نستعين بها كالنظم العقلية والفلسفية والدينية، وهاته البقايا هي في حقيقة الأمر حقائق إيجابية نخلفها لأسباب عادة ما تكون غير موضوعية تماما؛ فمن خلال استقرائنا للتاريخ نجد أن كثيرا من العلماء كانوا يستجيبون لبعض إغراءاتهم ثم يشيدون منها نظريات في مجال تخصصهم ثم لا تلبث هذه النظريات أن تتحول إلى معتقدات وهذا أقرب لعمل المتعصبين والمتشدّدين للديانات، ومثال ذلك هو الصراع بين علماء الحياة وعلوم الميكانيكا حول مفهوم الانسان وجسمه فعلماء الحياة يرون أن جسم الانسان عبارة عن آلة يقودها مهندس" انتلكي" ولكنه في الحقيقة عبارة عن ذلك المراقب.

أما علماء الميكانيكا فيرونه على أنه آلة كانوا هم مهندسيها وعليه يمكن تفسير جميع وجوه النشاط الانساني بقوانين الطبيعة والكيمياء والميكانيكا،

ونظرا لهذا الصراع يجب علينا التخلي على هذين النظامين لأنهما يضيفان إلى التعقيد تعقيدا ونستبعدهما كسالفهما من النظم

وخلاصة القول أنه يجب على الانسان الباحث في مجال علوم الانسان تحرير نفسه من جميع الاخطاء والأوهام التي وقع فيها الآخرون بسبب الملاحظة العابرة والقاصرة والبحث في أمور بسيطة كما يجب أن نبعد العلماء المشهورين من خلال الصحف فقط وكذا الدراسات الطويلة الأمد وغير المجدية.

كما أننا وفي إطار بحثنا عن فهم أفضل لأنفسنا فإننا مضطرون إلى ضرورة الفحص في جميع وجوه النشاط الانساني ما كان ظاهرا منها عادة أو ما قد يبقى في حيز الفكر ويتأتى لنا ذلك بالتأمل الدقيق في ماضي وحاضر الاكتشافات المتعلقة بالإنسان.

كما يتعين علينا الأخذ بنصيحة ديكارت حيث نصح بإنشاء جدول يضم دقائق ونتائج البحث في كل جزء وموضوع حول الانسان ونسترد هنا بالقول أن هذا الجدول إشارة إلى أن دراسة الانسان قد تقاسمتها مجموعة من الفنون والعلوم ولكل جزء متخصصون به.

إلا أن ما نريد ذكره هنا هو وجود نقطة سلبية في هذا التقاسم والنهج من الدراسة حيث نعيب على الباحثين توجههم في البحث نحو المواضيع ذات السهولة الواضحة ونحو المواضيع المكمّمة ونرجع سبب إقلاعهم عن الصعب كمثل السبب الذي اخر علوم الحياة ومنها تركيبة عقولنا التي يسرها الوصول إلى نتائج دقيقة وبسيطة، وذلك لا يمكن إلا مع السهل لأنه سهل؛ أضف إليه أيضا جريهم وراء ميولاتهم وأهوائهم الذاتية واتجاهاتهم الفكرية إلا لأنه وفي إطار بحثنا للوصول إلى الحقيقة لفهم أنفسنا فإننا ملزمون بالبحث في كامل الجوانب المتعلقة بالإنسان وأن إهمال أي جزء أو موضوع ما معناه التغاضي عن الحقيقة الصلبة.

وفي نفس المجال نتحدث هنا عن الاخصائيين فكثير منهم من يقع في خطأ تفسير بعض أوجه النشاط الانساني انطلاقا من نتائج الدراسة في مجال تخصصه؛ كما يقوم بعضهم بإعطاء الأهمية لبعض المواضيع التافهة ويبدلها بمرتبة الأهم منها درجة وكل أخصائي يختار من بين وجوه النشاط الانساني الوجه الذي يروق له البحث فيه.

إذن لقد أحصينا فيما سبق جملة أخطاء هي في الواقع عوائق جسيمة تحول دون إنشاء الجدول الذي نصح به ديكارت بحيث تكون غير قادرين على ملئ جميع خاناته ذلك أن بعض المواضيع قد أهملت دراستها. ومن أعظم السلبيات التي أعاقت ذلك نذكر أخيرا انتفاء الموضوعية من جملة العلماء حيث نجدهم يهملون تفسير الموضوعات الجديدة إذ لم يجدوا لها ذلك وفق ما توفر لديهم من قوانين ونظريات إنهم يكتمون الجديد وذلك تعلقا ببيئاتهم وما أنتجته.

ففي العهد الذي ربطت فيه الفيسيولوجيا بالكيمياء الطبيعية عهد جاك لويب وبابليس أهملت دراسة العمليات العقلية وبسبب مثل هذه الصعوبات فإن ملئ جدول ديكارت بالمعلومات الوافية يبدو مستحيلا؛ لذا علينا أن نلاحظ أنفسنا ملاحظة بسيطة دون إهمال أو نبذ لأي شيء ثم نصف ما نراه بكل بساطة.

إن الوسيلة العلمية تبدو غير قادرة على تتبع وقياس الشخصية الإنسانية في كل منطقة تمتد إليها فهي غير قادرة على قياس الغرور، الأحلام...الخ. لكونها لا تقع في زمان ومكان معيّنين عدا أنها تسجل نواحيها الفسيولوجية والنتائج المادية لها.

يعيش المراقب ومادته على نمط واحد: وعليه فإن الاحساس بالتغيير الناتج عن تطبيق أي نتيجة لا يكون إلا بعد مرور فترة من الزمن تمتد من ثلاثين إلى أربعين سنة؛ ورغم ذلك فإن العلماء يسارعون في الاعلان عن نتائج أبحاثهم ونجاحاتهم.

- **عدم تجانس مادة البحث العلمي في علم الانسان:**

لا يمكن الحصول وبسهولة على أفراد يتسمون بخصائص متماثلة حتى يتم إجراء التجارب عليهم لذلك فنحن مضطرون هنا للقبول بمعلومات تقريبية.

- **الفصل بين الكم والنوع:**

الغلطة المسؤولة عما نعيشه اليوم من المتاعب المنجرة عن تقدم علوم المادة جاءت نتيجة فكرة لجاليلو حيث فصل الصفات الأولية للأشياء(الأبعاد والوزن) وهي القابلة للقياس، عن الصفات الثانوية (الشكل واللون والرائحة) غير القابلة للقياس، لقد فصل الكم عن النوع حيث جلب الكم العلم للإنسانية بينما أهمل النوع؛ ولقد زادت التفرقة اتساعا عندما أنشأ ديكارت ثنائية الجسم والروح وعندئذ أصبحت ظواهر العقل غير مفهومة أو قابلة للإيضاح، إذ عزلت المادة نهائيا عن الروح مما نجم عنه فوز العلم واخلال الإنسان.

ولكي نصحح مسارنا هذا لا بد من الاهتمام بالكم والنوع معا وفي آن واحد ونبذ التفرقة بين الجسم والروح وفي مقابل ذلك يجب أن ننتبه إلى خطورة الاعتقاد لدى عامة الناس في جدوى علوم الانسان عن غيرها وادراكهم لفشل المادية عندها لن تكون رئاسة علوم السيكولوجيا أقل خطرا من الفسيولوجيا والطبيعة والكيمياء فلا يمكن أيضا اختزال الانسان في جانبه العقلي فقط.

عدم تحري الدقة:

يعتبر تحري الدقة في فحص وجوه النشاط الانساني عاملا حاسما في جمع أكبر عدد ممكن من المعلومات الايجابية المتعلقة به، وبالتالي يمكننا إتمام جدول ديكارت.

وفي مقابل ذلك ولكي نتمكن من دراسة جميع وجوه النشاط والمواضيع المتصلة بالإنسان علينا أخذ ببعض الإعتبارات أهمها:

- **الكف عن البحث في المجالات الأخرى:**

كالاختراعات الميكانيكية والطب وذلك لفترة تمكن من خلالها من استدراك ما فاتنا في مجال علم الانسان. لأننا أغرقنا الاهتمام بالبدن وما يختص به ونسينا في ذلك صحة الانسان تكمن في صحة النفس والبدن.

- **الحاجة إلى جهد عقلي جبار:**

إن معلوماتنا عن الإنسان في الوقت الحاضر يمكن أن تتقدم إلا إذا اجتذبنا النخبة من أصحاب العقول لدراسة موضوع هذا العلم، كما أن أفضل وسيلة لزيادة مستوى ذكاء العلماء هي إنقاص عددهم؛ ذلك أن معرفة الانسان معرفة أفضل تتحقق بواسطة عدد قليل من رجال العلم بشرط أن يكونوا موهوبين من ناحية الخيال وأن يزودوا بوسائل قوية تمكنهم من المضي قدما في بحثهم.

- **الإهتمام بالجانب الاخلاقي:**

لقد منحتنا علوم المادة الكثير من أسباب الراحة والرفاهية والسرعة في الانتاج، لكن وفي مقابل ذلك لم تستطع أبدا أن توفر لنا مستوى حضاريا وأخلاقيا بالدرجة الأولى ليحافظ على قيمنا الأصيلة ويمنحنا الأمن والسلام الداخليين.

به فيجب الاهتمام بالدراسة في مجال علم الانسان بالنواحي الداخلية والأخلاقية والمطالب الدينية للفرد والبحث في العلاقة بين النشاط العضوي والفسيولوجي وبين الفرد وبيئته العقلية والروحية؛ وللتمكين من هذه الدراسة وإحلال علم الإنسان مكانته اللائقة يجب تظافر جهود مختلف الاخصائيين والعلماء في هذا المجال وبذل جهد أكبر بكثير مما هو عليه الآن والتركيز على عمليتي التحليل والتركيب وذلك على مختلف المستويات والنطاق المتعلقة بالإنسان.

خلاصة:

منذ وجود الانسان على ظهر البسيطة برزت معه مختلف العلوم حيث شهدت علوم الجماد تقدما كبيرا وذلك بفضل النظريات المتوصّل إليها واستمرار البحث فيها ذلك أن مجالها سهل؛ كما أمكن الباحثين من صياغة قوانينها في معادلات جبرية بسيطة أما علوم الحياة وبالرغم من بعد زمن دراستها أو ظهورها وكثرة الباحثين فيها فإنها ما زالت متأخرة ذلك أنها علوم معنوية لم ترق إلى الدقة المطلوبة كما لم تتمكن من معرفة الانسان معرفة حقة فكل علم منها يعطي تعريفا مخالفا لهذا المخلوق.

لذلك فإنه على علوم الانسان الاستعانة بفنون أخرى وبنتائج باقي علوم الأخرى وذلك كله قصد الوصول إلى فهم جيد وحقيقي لهذا الكائن وللقضاء على الأسئلة الكثيرة التي لا زالت تظل بلا جواب وهي تنتظر من المختصين في علوم الحياة إجابة عليها، وسيبقى إلحاحها دافعا لهم لمواصلة البحث في مجال علم الإنسان وعدم الاستسلام لعظمة علوم الجماد.